المقتطف

الجزء الخامس من المجلد الثاني والاربعين

١ مايو (ايار) سنة ١٩١٣ — الموافق ٢٤ جمادا اول سنة ١٣٣١

رجل السيف ورجل المال

ولسلي ومورغان

قضى في الشهر الماضي رجلان عظيمان رجل سيف ورجل مال . وما كل رجل سيف يُترجَم في المجلات ولا كل رجل مال يُعنى الكتّاب بذكره . لكن الفقيدين فاقا الاقران المرشال ولسلي اصلح الجندية الانكليزية فاستحق مقاماً سامياً بين قواد الجيوش وبذلك يبقى اسمهُ مذكوراً . وبيربنت مورغان الف بين الشركات المتناظرة فقلّت نفقات العمل وكثر ربح العمال فصار لهُ المقام الاسنى بين اغنياء الارض . و يشترك هذان الرجلان في انهما لم ينبغا من العدم كاكثر المشاهير بل جرى كلٌّ منهما في خطة والدهِ ولكنهُ فاقهُ بمراحل كثيرة فوالد ولسلي كان ضابطاً في الجيش ووالد مورغان كان صرافاً كبيراً

المرشال ولسلي

Field Marshal Viscount Wolseley

قال احد مترجميهِ « ان تاريخهُ هو تاريخ الجيش الانكليزي بعد دوق ولنجتون » ولعل ذلك اعظم مدح يمدح بهِ قواد الجيوش

ولد في الرابع من شهر يونيو سنة ١٨٣٢ فتوفي في الثمانين من عمرهِ . وابوهُ الماجور غارنت ولسلي من نسل الانكليز الذين هاجروا الى ارلندا منذ سنين كثيرة و بلغوا مراتب الاشراف فيها . درس في دبلن عاصمة ارلندا وانتظم في الجيش وعمرهُ ١٩ سنة وحضر حروب برما والقرم والهند والصين والاشنتي ومصر والسودان وابل فيها كلها بلاءً حسناً بل فعل ما هو خير من ذلك وهو انهُ اخمد بعض الثورات بالتهديد من غير حرب كما حدث في حملتهِ على ريل في كندا سنة ١٨٧٠ . وهو قائد الحملة التي تغلبت على عرابي في التل الكبير وكانت

الحد الفاصل بين العهد القديم والعهد الحديث في تاريخ هذا القطر. وقد اشرنا الى ذلك حينما وقفنا اول مرة امام التل الكبير وقلنا

مدافن المقتدين الاهل والوطنا ولا ضريحاً ولا لحداً ولا كفنا
ايعلمُ القومُ ممَّن زرعهُ نضرٌ والنيل يسقيهِ لا منًّا ولا ثمنا
والعدلُ والكل في قسطاسهِ شرعٌ لا يظلمون بهِ سرًّا ولا علنا
أنَّ الدماء التي التلُّ الكبير سقت محت مظالم فاوى عهدُها الزمنا

والذين تتبعوا الثورة العرابية من اولها الى آخرها ظهر لهم ان الجيش الانكليزي نزل في الاسكندرية اولاً وناوش جيش عرابي في ضواحيها ولما رأى انهُ لم ينل منهُ منالاً انقلب الى الاسمعيلية. ولكن الحقيقة غير ذلك فان خطة السير الى القاهرة بطريق الاسمعيلية هي الخطة الاولى التي اشار بها ولسلي بتقرير وضعهُ في ٣ يوليو سنة ١٨٨٢ لانهُ كان يعلم صعوبة الزحف من الاسكندرية على القاهرة من الجهة الغربية بطريق وردان لان الرمال هناك تاعمة تعيق سير الجنود ففضَّل ان يكون السير من الشرق بطريق الاسمعيلية والزقازيق لان الرمال هناك خشنة غير متقلقلة. وقد ناوشت جنودهُ الجنود المصرية في ضواحي الاسكندرية وكفر الدوار من باب التعمية . ووصل هو الاسكندرية في ١٥ اغسطس ثم اقلع منها في ١٩ منهُ واحتلَّ ترعة السويس في اليوم التالي وجعلها قاعدة لاعمالهِ وكان قد استدعى بعض الجنود الهندية لنجدتهِ فلما وصلت سار بها الى القصاصين في ٩ سبتمبر واخرج منها الجنود المصرية التي أُرسلت اليها لمقاومتهِ فيها ولما اكتمل جيشهُ هناك وهو نحو ستة عشر الفاً زحف بهِ على التل الكبير فاستولى عليهِ في نحو نصف ساعة من الزمان . ووصل فرسانهُ الى القاهرة ظهر اليوم التالي . وتمَّ النصر لهُ كما قدَّر ولم يُقتل من رجالهِ سوى ١٠ من الضباط و٧١ من « الانفار » وجرح منهم ٤٣ ضابطاً و٥٢٣ نفراً . ولما عاد الى انكلترا اعطتهُ الحكومة الانكليزية ثلاثين الف جنيه هبةً وأُعطي رتبة جنرال وجُعل من اشراف المملكة

ولا يمكن الحكم البات بما كان يمكن ان تكون حال الديار المصرية الآن لولا مجيء ولسلي اليها وفوز جنودهِ فيها ولا هذا محل النظر في ذلك

لكن فوزهُ في حروبهِ وابلاءهُ في خصومهِ لا يميزانهِ على غيرهِ من القواد الكبار وانما الذي امتاز بهِ اصلاحهُ للجندية الانكليزية فاولاً وضع كتاباً صغيراً عدَّد فيهِ ما يجب على الجندي فاتخذهُ الجنود وضباطهم دليلاً في اعمالهم وقد مضت السنون وهذا الكتاب يطبع سنة بعد اخرى و يعتمد عليهِ الجنود والضباط كانهُ احد لوازمهم فيستفيدون منهُ اكبر فائدة

وثانياً اعان المستر كاردول وزير الحربية الانكليزية في اصلاح الجندية بوجه عام . فان المستر كاردول جُعل وزيراً للحربية سنة ١٨٦٨ والحال اهتمّ بتقوية شأن الجيش البريطاني فجمعهُ في بريطانيا وطلب من المستعمرات ان تقيم الجيوش لنفسها وجعل مدة الخدمة ١٢ سنة فقط تقضي السنوات الخمس او الست الاخيرة منها في الرديف وكان ولسلي قد اشتهر بانهُ افقر القواد الاحداث فاستعان بهِ على اجراء ما يريدهُ من الاصلاح . وكانت وظائف الضباط تباع وتشترى علناً فالغى ذلك ووجد في الغائهِ مشقة عظيمة لان مجلس الاعيان لم يصادق على قرار مجلس النواب في هذا الشأن فتشلت الوزارة ولكنها جعلت الملكة تؤيد الالغاء بامر خاص . ثم اعاد تنظيم الجيش وجعلهُ فرقاً خاصة وجعل انواعهُ كلها تابعة لنظارة الحربية وانشأ قلم المخابرات سنة ١٨٧٣ فصار لهُ الشأن الاكبر في الادارة الحربية . والوزير كاردول الفضل الاول في هذه الاصلاحات لانهُ اول من انتبه لها ولانهُ استعان بالجنرال ولسلي على تحقيقها ولكن فضل ولسلي فيها لا ينكر لانهُ كان الفاعل الاكبر في اقتراحها واجرائها

وكانت وفاتهُ في ٢٥ مارس ودفن في ٣١ مارس في كنيسة مار بولس مدفن عظماء القواد

بيربنت مورغان
Pierpont Morgan

اما بيربنت مورغان فمعروف عند كثيرين من سكان هذه العاصمة لا سيما وانهُ اقام فيها هذا الشتاء قبل ان ذهب الى رومية حيث وافتهُ منيتهُ ظهر الحادي والثلاثين من شهر مارس الماضي . وقد ترجمناهُ منذ احدى عشرة سنة وقلنا فيهِ ما يأتي

« هو رجل رزين قليل الكلام . يجلس في مكتبهِ حيث يدير اشغالهُ الكثيرة منفصلاً عن الكتاب الذين في خدمتهِ بفواصل من الزجاج حتى يراهم ويروهُ واذا دخل عليهِ وزير فايلهُ كما يقابل جمهور السماسرة والتجار سواء بسواء . يختار في حديثهِ الكلمات الرجيزة اللفظ الكبيرة المعنى مثل كلمة نعم وكلة لا ويلفظ الكلمة منها نبراً لفظ رجل بات الحكم غير متردد . ولا تبلغ ثروتهُ الآن ثروة روكفلر ولا ثروة كارنجي ولكنهُ اقدر منهما على ادارة الاعمال وسلطتهُ اعظم من سلطتهما . وقد اثريا اكثر منهُ لان جانباً كبيراً من ثروتهما اتاها عفواً بنمو البلاد وازدياد الطلب على البترول والحديد واما هو فانى ثروتهُ بجده وحسن نظره في العواقب

«كان ابوهُ صائغاً عند فلاّح ثم صار كاتباً عند بائع منسوجات و بقي كذلك الى ان صار عمرهُ ٣٨ سنة وخطر لهُ حينئذٍ ان يشتغل مستقلاً ففتح بنكاً صغيراً في مدينة بوستن واشتهر باجتهادهِ واستقامتهِ فاتسعت اشغالهُ رويداً رويداً وصار من اعرف الناس بالاسواق المالية في الدنيا كلها فوثق بهِ معاملوهُ ثقةً تامةً لانهُ كان يخلص النصح لهم ولا يدعهم يضاربون مضاربات تعود بالخسارة عليهم . واقتصر على ما يعنّي باشغال البنك القانونية وزادت اشغالهُ بازدياد ثقة الناس بهِ حتى صار لهُ المقام الاول بين الماليين فزار بلاد الانكليز وكانت شهرتهُ قد سبقتهُ اليها وتعرّف فيها بالمستر بيبدي المشهور بغناهُ ومبرّاتهِ فقدرهُ بيبدي قدرهُ وعرض عليهِ ان يشاركهُ في اعمالهِ المالية فزادت تلك الاعمال نجاحاً وجرى على اسلوب الانكليز في استثمار المال و بذل جهدهُ في حمل الانكليز على الثقة بالبيوت المالية الاميركية فزادت الثقة بين نيو يورك ولندن ورسخت على قواعد متينة فكثرت بسببها المعاملات المالية . ولما عاد الى نيو يورك سنة ١٨٧٧ قوبل باحتفال عظيم واولم لهُ كبار الاغنياء وليمة فاخرة اعترافاً بفضلهِ عليهم و يقال ان ثروة الذين حضروا تلك الوليمة كانت نحو مئتي مليون جنيه

« ونشأ المستر مورغان صاحب الترجمة في كنف ابيهِ وتدرّب عندهُ على المعاملات المالية وتوفي ابوهُ سنة ١٨٩٠ فاستقلّ بادارة اعمالهِ ووسّع نطاقها بهمتهِ واشتهر باصالة الرأي والحزم في الاعمال . قيل جاءهُ رجل يملك منجماً كبيراً من الفحم الحجري وقد صمم على بيع المنجم لهُ باغلى ثمن لانهُ كان في حاجة شديدة اليهِ . وجعل يحدث نفسهُ بما يقولهُ وما يجيبهُ المستر مورغان بهِ حتى لم يبقَ عندهُ ريب في ان البيع يكون صفقة رابحة جداً لهُ فدخل مكتب المستر مورغان واخبر الكتبة باسمهِ وجلس ينتظر الى ان جاء صبرهُ واخيراً خرج مورغان اليهِ وقال انني ادفع في المنجم كذا وكذا من الريالات فان كنت تقبل فامضِ صك البيع . قال ذلك وعاد الى مكتبهِ فامضى الرجل البيع ولم يفه بكلمة

« وقال احد المعاصرة جئتهُ يوماً لاقترض منهُ مليوناً من الريالات على ضمان ولم اكن اعرفهُ ولا كان يعرفني فتفرّس في وجهي لحظة من الزمان ثم نظر الى الورقة التي كتبت فيها اسماء الضمانات وقال « نعم » واشار الى احد شركائهِ ليدفع اليَّ المال المطلوب . فامضى في ربع دقيقة عملاً ماليًّا كبيراً قد لا تستطيع دولة كبيرة ان تمضيهُ في اسبوع

« واكبر الاعمال المالية التي اشتهر بها ضم الشركات بعضها الى بعض حتى تزول المناظرة من بينها وتقلّ نفقاتها وتزيد ارباحها . من ذلك ضم ثمان من شركات الفولاذ (الصلب) وجعلها شركة واحدة رأس مالها ٢٢٩ مليون جنيه . واهم هذه الشركات شركة كارنجي وكان لكارنجي

في شركته ٨٥٠٠٠ سهم يساوي السهم منها ٣٠٠ جنيه فجملة ما يتلكهُ فيها ٢٥ مليوناً ونصف مليون من الجنيهات فاتفق معهُ اولاً على بيع اسهمهِ للشركة العمومية واخذ اسهم جديدة بدلاً منها تساوي اربعين مليوناً من الجنيهات وربحها السنوي اكثر من ثلاثة ملايين من الجنيهات ولما تمَّ لهُ ذلك لم يتعذَّر عليهِ ان يبدل اسهم بقية المساهمين في الشركات السبع الاخرى باسهم جديدة من الشركة العامة . وكان رأس مال هذه الشركات السبع ١١٢ مليون جنيه واذا اضيفت اليها شركة كارنجي بلغت قيمة اسهمها كلها نحو ١٧٠ مليون جنيه فلما جعل اسهم الشركة الجديدة ٢٢٩ مليون جنيه رفع قيمتها نحو مئتين مليون جنيه وكان هذا الرفع حقيقياً لا وهمياً لان ارباحها زادت مليونين ونصف مليون من الجنيهات بزوال المناظرة وبتقليل نفقات الادارة كما سيجيء . وغنيٌّ عن البيان انهُ تناول اجرتهُ من هذا العمل الكبير ولم نقف على مقدارها ولكنها لا تقلُّ عن بضعة ملايين من الجنيهات ذلك كلهُ وهو لا يعرف شيئاً من عمل الفولاذ

« وقد تدرَّج الى هذا العمل العظيم وهو تأليف شركة رأس مالها ٢٢٩ مليون جنيه بعمل آخر يقاربهُ في عظمتهِ وهو ضم خمس شركات من شركات سكك الحديد التي في الجهات الشمالية الشرقية من اميركا رأس مالها مئة مليون جنيه فانهُ ابتاعها الواحدة بعد الاخرى ووحَّدها ووفَّر ارباحها بتقليل نفقاتها . ثم ضمَّ الشركات التي في الجهات الجنوبية وبعض الشركات التي في الجهات الغربية فصار المتصرف المطلق في اجرة النقل وثمن الفحم الحجري وبلغ ربحهُ من ذلك كلهِ ما اشرنا اليهِ قبلاً . ذلك انهُ ورث عن ابيهِ مليونين من الجنيهات فصيرها ثلاثين مليوناً في بضع سنوات . ولم تكفهِ اميركا بل قصد انكلترا وابتاع بواخر بعض الشركات التجارية لكي لا يبقى الاميركيون معتمدين على الانكليز في نقل بضائعهم

« وهو من كبار المحسنين دفع ٣٠٠ الف جنيه لبناء مستشفى الولادة في نيويورك و٢٠٠ الف جنيه لدار البحث البيولوجي في جامعة هارفرد و١٠٠ الف جنيه لانشاء مدرسة للتجارة في نيويورك وستين الف جنيه لبناء دار الاسقفية فيها وخمسة آلاف جنيه لانارة كنيسة مار بولس في لندن بالنور الكهربائي

« ولهُ ولع شديد بجمع التحف ابتاع صورة من تصوير غاينسبرو المصور الانكليزي بثلاثين الف جنيه وهي المعروفة بصورة « دوقة دفنشير » وابتاع صورة أخرى من تصوير رفائيل بنحو مئة الف جنيه وهو اعظم ما دفع ثمن صورة واحدة فيما نعلم . وكنا اتى الى اوربا ذهب الى فرنسا واقام اياماً في اورصندي يزور الفلاحين في بيوتهم ويبتاع منهم اشياء صغيرة باثمان باهظة يرى

لوحاً منقوشاً عند امرأة فلاحة فيقول لها بكم تبيعين هذا اللوح فتقول ليس للبيع فيقول لها كم يساوي فتقول لا يساوي شيئاً فيقول ولكني اريد ان اشتريهُ فتقول لهُ لقد اخبرتك يا موسيو انهُ ليس للبيع فيضحك ويقول لها هذه الف فرنك فهل تعطينيهِ بها فتأخذها وهي لا تصدق ما ترى بعينيها . انتهى »

ويقال ان التحف التي جمعها من صور وبسط وادوات ذهبية وفضية وما اشبه تساوي عشرين مليوناً من الجنيهات

ولا يعلم مقدار ثروتهِ تماماً فالذين يبالغون فيها يوصلونها الى اربعين مليوناً من الجنيهات والذين يحسبونها يحطونها الى عشرة ملايين . ولكن ان اختلف المقدرون في تقديرها فهم لا يختلفون في ان اصحاب الف ومئتي مليون من الجنيهات وضعوا اموالهم كلها في يدو ليتولى ادارتها فهو من هذا القبيل اقدر مالي قام في الدنيا حتى الآن

لما حدث الضيق المالي سنة ١٩٠٧ اشتدَّ في نيو يورك حتى هدد البلاد بخراب عام وجعل الذين عندهم اسهم وسندات يعرضونها للبيع ولا من يشتري لقلة النقود المتداولة . وطلب بعضهم ان يستقرضوا ويدفعوا فائدة بمعدل ستين في المئة في السنة فلم يجدوا من يقرضهم فذهب المستر طوماس رئيس بورصة نيو يورك الى المستر مورغان وطلب منهُ ان يفرج ضيقة الناس وهاك ترجمة ما قالهُ في هذا الصدد منقولاً عما شهد بهِ في العام الماضي امام قاضي التحقيق قال « قلت للمستر مورغان لقد عزَّت النقود واعضاء جمعية البورصة يحتاجون الى خمسة ملايين من الجنيهات . وبعد ما تذاكرنا بضع دقائق قال لي انهم سيعطون خمسة ملايين فعدت الى البورصة وقلت لاعضاء الجمعية ان النقود ستأتينا حالاً . وبعد خمس دقائق جاءت النقود وزالت الازمة فان البنوك التي يتولى المستر مورغان ادارتها فتحت ابوابها والحال انخفضت الفائدة السنوية الى ستة في المئة ثم الى ٣ في المئة »

وهذه ليست اول ازمة فرَّجها في سنة ١٨٩٣ اشتدَّ الضيق على خزينة الحكومة الاميركية لكثرة صدور الذهب من البلاد وخيف من وقوف الاعمال فرأس لجنة من الماليين واشترى ما يساوي ١٢ مليون جنيه من سندات الحكومة دفع ثمنها ذهباً فانفرجت الازمة حالاً

والبنك الذي انشأهُ هو وشريكهُ طوماس منذ ثلاثين سنة كان رأس مالهِ مئة الف جنيه فبلغت ارباحهُ في هذه الثلاثين سنة ١٨ مليوناً من الجنيهات اي ان الجنيه الواحد ربح ١٨٠ جنيهاً